اغلاط المولَّدين

من المعلوم ان العرب كانوا قوماً أُمّيين لم يدوّنوا شيئاً من قواعد لغتهم وشعرهم ولا كانوا يعرفون شيئاً مما نسميهِ اليوم بعلوم الادب كالصرف والنحو وغيرهما ولكنهم كانوا يرسلون الكلام عن وحي السليقة وتلقين البديهة لا يراعون في ذلك الا ما ارتسم في ملكاتهم من الطرق والاساليب التي نشأوا عليها وأَلِفوها فيما بينهم. فلما جآء الاسلام وكثر اختلاط العرب بغيرهم من الامم وخيف على السنتهم من الفساد انتدب من أئمتهم من تدارك امر اللغة بتدوين مفرداتها وتقييد احكامها على ما هو مشهور فجمعوا اجناس كلامهم وضمّوا كل نظير الى نظيرهِ حتى صارت علماً ذا اصول وضوابط وما وُجِد خارجاً عن قياس امثالهِ من شواذّ الالفاظ والتراكيب نبّهوا عليهِ في اماكنهِ ليكون المقلّد لهم في هذه اللغة على بيّنةٍ من استعمالها عارفاً بمقيسها ومحفوظها

على ان الشذوذ في اللغة ليس بالامر النادر ولكن من تتبّع منقولها ولا سيما ابنية الالفاظ المفردة من المصادر والصفات والجموع ومعاني بعض المزيدات يجد من ذلك ما لا يُحصى حتى يُضطرّ الى اخذ الكثير منها بالحفظ والسماع. وهذا ولا جرَم من الشوائب التي اضاعت كثيراً من محاسن اللغة وذهبت بفضل الواضعين لها وجعلت الاحاطة بها من المعجزات حتى لا يتعدى الثقات من اهلها افراداً قلائل في كل عصر. ولذا كان العلم بشواذّ اللغة وشواردها اهمّ من معرفة مطّردها ومقيسها بل

هو الغاية التي يكبو من دونها السُبّاق من اهل هذه الصناعة والمزلّة التي يُستدرَج بها الأَثبات من ذويها واليهِ مرجع اكثر ما نراهُ من الخطأ في كلام المولّدين اذ القياس كالمحجّة الواضحة لا يكاد يضلّ سالكها

ومعلومٌ ان العرب كانوا من اشدّ الناس تأنقاً في لغتهم وأَقوَمهم على تهذيب احكامها وادقّهم نظراً في تسديد اقيستها كما يعلم ذلك من تتبّع كلامهم بالرويّة النقّادة ورأى ما في ابنية الفاظهم واشتقاقاتها من الحكمة والسداد والملاءمة بين اجناس الالفاظ والمعاني مما لا تضارعها فيهِ لغةٌ من اللغات فمن العجيب ان يقع لهم مثل هذا الشذوذ الفاحش حتى لا يقف الناظر في بعض الالفاظ على قياس يردها اليهِ . على انك اذا استقريت هذه الشواذّ وجدت اكثرها طارئاً على اصل الوضع بحيث انك اذا تتبعت كثيراً من موادّ اللغة امكنك ان تستشفّ القياس من بينها وتتمثل الاصيل فيها من الطارئ . وهي على الغالب ترجع الى سببين احدهما تداخل اللغات بحيث كان بعض الفاظ المادّة من لغةٍ وبعضها من لغةٍ اخرى فتعارض القياس بينهما والثاني الضرورات الشعرية لما فيها من الخروج عن مقتضى القياس لاقامة الوزن او القافية

وبيان ذلك أن ما نُقِل الينا من اللغة لم يكن لغة قبيلةٍ واحدة ولكنهُ خليطٌ من عدة لغات هي التي اجتمعت في لغة قُرَيش وهي لغة التنزيل والسُنّة التي دوّنها المصنّفون في كتبهم والتي عليها استعمال المولّدين الى هذا اليوم . قال السيوطي في الاقتراح « قال ابو نصر الفارابي في اول كتابهِ المسمى بالالفاظ والحروف كانت قُرَيش اجود العرب انتقاداً

للافصح من الالفاظ واسهلها على اللسان عند النطق واحسنها مسموعاً وأَبيَنها ابانةً عما في النفس . والذين نُقلت عنهم اللغة العربية وبهم اقتُدِي وعنهم أُخِذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد فان هؤلآء هم الذين عنهم اكثر ما أُخِذ ومعظمهُ وعليهم اتُّكل في الغريب وفي الاعراب والتصريف . ثم هُذَيل وبعض كنانة وبعض الطآئيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم » . انتهى المقصود منهُ

ولا بأس ان نورد ههنا شيئاً من امثلة التداخل المشار اليهِ وذلك كقولهم حَضِر بالكسر يَحضُر بالضمّ وهذان لا يكونان في اللغة الواحدة لان هذا ليس من الاوزان المألوفة عندهم انما هما من لغتين فالماضي من لغة من يقول حَضِر يَحضَر على حدّ عَلِم يَعلَم والمضارع من لغة من يقول حَضَر يَحضُر على حدّ نَصَر ينصُر ولكن وقعت احدى اللغتين الى الاخرى فحدث عن اجتماعهما لغةٌ ثالثة . وهناك لغةٌ رابعة وهي حَضَر يَحضَر بالفتح فيهما وهي عكس الاولى بمعنى انهُ أُخِذ الماضي من حدّ نَصَر والمضارع من حدّ عَلِم فجآء حاصلهما من حدّ منَع . وربما استدرج ذلك بعض اللغويين فصرّح بهذا الضبط الاخير كما فعلهُ صاحب القاموس في ضبط رَكَنَ فجعلهُ كنَصَرَ وعَلِمَ ومَنَعَ وكما فعل في ضبط هَلَكَ حيث جعلهُ كضَرَبَ ومَنَعَ وعَلِمَ . ومثلهُ ما حكاهُ ابن جنّي من قولهم قَنَط يَقنَط بفتح النون فيهما وانما هو من بابي ضَرَبَ وعَلِمَ وقس على ذلك عدة افعال وردت على هذا النحو كسَلا يَسلَى وأَبَى يأبَى وكل ذلك مخالفٌ للمُجمَع عليهِ في لسانهم لان فتح العين في الماضي والمضارع مخصوص بما

كانت عينهُ اولامهُ حرفاً من احرف الحلق . وهذا الفتح مع حرف الحلق غير خاصّ بالعربية ولكنك تجد مثلهُ في العبرانية ايضاً فيما كان كذلك من الافعال بل هو في هذه اللغة اعمّ مما عند العرب فانهم كثيراً ما يفتحون مع حرف في الحلق حيث يسكّنون مع غيرهِ فيقولون في يعقوب مثلاً يَعقُوب بفتح العين وهو في الاصل مضارع عَقَبهُ اذا اخذ بعَقبِهِ وكذا اذا ارادوا مضارع حلَم وعمَد ونحوهما قالوا يَحلُوم ويَعمُود (اي يَحلُم ويَعمُد) فيفتحون فآء المضارع المجرّد . ويقولون في روح ويشوع ورقيع رُوَح ويَشُوَع ورَقِيَع بفتح الواو واليآء . والظاهر ان هذا امرٌ طبيعيٌّ كما يدلك عليهِ أنك ترى الاعجميّ اليوم اذا اراد ان يقول موضوع مثلاً ومفاتيح ينقاد بطبعهِ الى فتح الواو واليآء قبل الحرف الحلقي لان هذين الحرفين يخرجان من ادنى الفم فكانهُ يستعين بفتح فمهِ على ايصال الصوت الى مقطع الحلق

ومن ذلك انك ترى مصادر الالوان تأتي على فُعْلة بالضمّ كالحُمرة والصُفرة والسُمرة والشُهلة وقياس الفعل من هذه المصادر ان يكون من باب عَلِمَ وهو ما تراهُ مطّرداً في كل ما استُعمِل منها مجرّداً . ولكنك تجد بينها الصُهوبة والكُدورة ومقتضاهما ان يكون الفعل منهما من حدّ كَرُمَ كما تقول سَهُلَ سُهولةً وصَعُبَ صُعوبةً . وقد ورد كَدُرَ بالاوجه الثلاثة واما صَهِبَ فلم يرد فيهِ الا الكسر مع ورود المصدرين فيهِ . وعكسهُ شَهُبَ فانهُ لم يُحكَ في مصدرهِ الا الشُهبة مع ان الفعل رُوِي من بابي عَلِمَ وكَرُمَ . وقس على ذلك كثيراً من منقول اللغة مما اضطربت

فيهِ سلسلة الاشتقاق او جآء بعض الالفاظ فيهِ مقتضباً بنفسهِ وهذا بابٌ واسع تحتمل الافاضة فيهِ مجلّداً برأسهِ (ستأتي البقية)

حديقة السوسن

(تابع لما قبل)

— ١٣ —

قد أتينا في الفصل السابق على بيان أمرين مهمين مما يحقُّ للنسآء أن يطالبنَ بهِ الرجال من حقوقهنَّ والآن نأتي على ايضاح سائر الامور فنقول

ان المرأة في أوربا مسؤولة أبداً عن ماضيها أي عن سيرتها الادبية قبل الزواج بخلاف الرجل فانك تراهُ يقصُّ على امرأتهِ بعد أن تصبح شريكة حياتهِ حوادث عزوبتهِ مفتخراً بما يتلو عليها من فصول أسرارهِ الليلية وفضائحهِ الشهوانية غير مبالٍ بما تؤثرهُ في فؤادها المحب واحساسها السريع الانفعال مما يعود عليهِ في مستقبل أيامهِ معها وبالاً ونكالاً فكأنهُ يزعم انها مفصّلةٌ من حديد صلب لا من لحمٍ ودم . ولذلك لا يتبادر الى ذهنهِ ان الغيرة ستدركها مما تسمع وان النفس ستناجيها ان تحذو حذوهُ فيما فعل مغرياً اياها وهو لاهٍ عن مغبّات قولهِ بالخروج عن حدود الصون والعفاف التي يودُّ كل زوج من امرأتهِ الاَّ تتعداها . أما هي فالويل لها اذا أتت أمامهُ بذكر علاقة لها سابقة ولو تلميحاً على عهد بكارتها أو تأيمُّها — اذا كانت ارملةً ثم تزوجت — فتلك هي الجريمة التي لا تُغتفرَ أبد الدهر